

لا تحرير إلا بالمقاومة الشرعية

بقلم الوزير اللواء عصام أبو جمرة

"الجنوب جبهة مفتوحة للجهاد في سبيل تحرير فلسطين " هذا الإعلان الذي طالع السيد شلح به المنطقة مؤخراً، والذي لا يمكن السيد شلح أو غيره أن يعلنه من دمشق إلا بموافقة القيادة السورية، يحملنا على استنتاج احتمالين لا ثالث لهما. الاحتمال الأول: إن القيادة السورية تهدد إسرائيل بأنه في حال انسحابها من لبنان دون اتفاق مع سوريا ستتحرك المقاومة الفلسطينية من لبنان وستعود المنطقة الحدودية في شمال إسرائيل إلى الاشتعال كما كانت عليه قبل عام ١٩٨٢.

الاحتمال الثاني: إن سوريا باتفاق مع إسرائيل طبعاً ستبدأ تطبيق أحد شروط اتفاق السلام المنتظر بإنهاء الوجود الفلسطيني المسلح في جنوب لبنان. وسيتبعه حتماً، في مرحلة لاحقة، جمع سلاح المقاومة اللبنانية لانتفاء مبرر وجودها بعد انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان ومباشرتها مباحثات الانسحاب من الجولان. وبهذا تكون سوريا والقيادة الفلسطينية التي حركت الوجود المسلح في هذه المخيمات ودعمته متفقتين دون اتفاق وبطريقة غير مباشرة على هدف واحد، ألا وهو جمع السلاح تحضيراً للسلام والأمن في شمال إسرائيل. طبعاً كلا الاحتمالين معقول، فليست المرة الأولى التي تستعمل فيها سوريا الفلسطينيين ورقة لمناوشة إسرائيل من خارج سوريا، وليست المرة الأولى أيضاً التي تحارب فيها سوريا الفلسطينيين خارج سوريا وتكون إسرائيل المستفيدة الأولى.

ولكن يبقى السؤال الأهم: هل ستستطيع سوريا تحرير الجولان بالمقاومة من لبنان؟ التاريخ القديم أثبت عكس ذلك، والتاريخ الحديث مع كل ما حدث خلال الأعوام المنصرمة أثبت عكس ذلك.

الجزائريون حرروا الجزائر بمقاومتهم الفرنسيين من داخل الجزائر، فكان لعمل المقاومة الجزائرية بما فيه من شرعية محقة الصدى المحلي والدولي والتأثير حتى على نفوس الفرنسيين وفي طليعتهم الجنرال ديغول، ونجحوا بالتحريض. الفلسطينيون قضوا أعواماً بمحاربة إسرائيل من الخارج دون جدوى، وعندما اعتمدوا المقاومة من الداخل، وبالحجارة استطاعوا أن يدخلوا إلى قلوب وعقول المجتمع الدولي شرعية مقاومتهم، واستطاعوا أن يُقنعوا قادة وشعب إسرائيل بضرورة إعطائهم دولة، وكان لهم ما أرادوا.

اللبنانيون أيضاً، بعد أن اعتمدوا المقاومة من داخل أرضهم، لتحرير أرضهم المحتلة، استطاعوا أن يُقنعوا المجتمع الدولي بشرعية مقاومتهم، واستطاعوا أن يُقنعوا إسرائيل وقادتها بضرورة وأحقية الانسحاب وإعادة الأرض إلى سلطة دولتها. الكويت، وتيمور، وكوسوفو، وأفغانستان، والشيشان، كلها أمثلة واضحة تثبت أن مقاومة الشعب من داخل بلده لاستعادة أرضه المحتلة وسيادته عليها تكسبها صفة الشرعية التي لا يستطيع العالم مهما طغى إلا أن يستجيب لها. فلماذا القيادة السورية لا تعتمد هذا الأسلوب الشرعي لاستعادة الجولان؟ لماذا تعتمد استعمال الغير، على أرض الغير، لمصلحة الغير، ومصالحها لن تتحقق بواسطة الغير؟ لماذا لا تُحرِّك المقاومة السورية لتحرير أرض سورية من المحتل لأرض سورية من داخل سوريا؟ والسوريون عقائديون أقوياء على أرضهم ومقاومتهم شرعية.

لماذا يخافون أن تندلع الحرب معهم وعليهم في سوريا؟ ولا يأبهون للحرب إذا ما وقعت، وقد وقعت مرات وما زالت تقع كل يوم على شعب شقيقهم لبنان؟ الحقيقة أنه لا تحرير إلا بالمقاومة الشرعية، ولن تكون استعادة الجولان كاملاً بالمقاومة من لبنان مهما تغنى متولي السلطة في لبنان والقيادة السورية بوحدة المسار ووحدة المصير، فالعالم يعرف التاريخ، ويعرف الجغرافيا، ويعرف لبنان وحدوده، ويعرف سوريا وحدودها، ولن يتأثر بهذه الدماغوجية.

فرنسا في ١٩٩٩/١١/٢٥